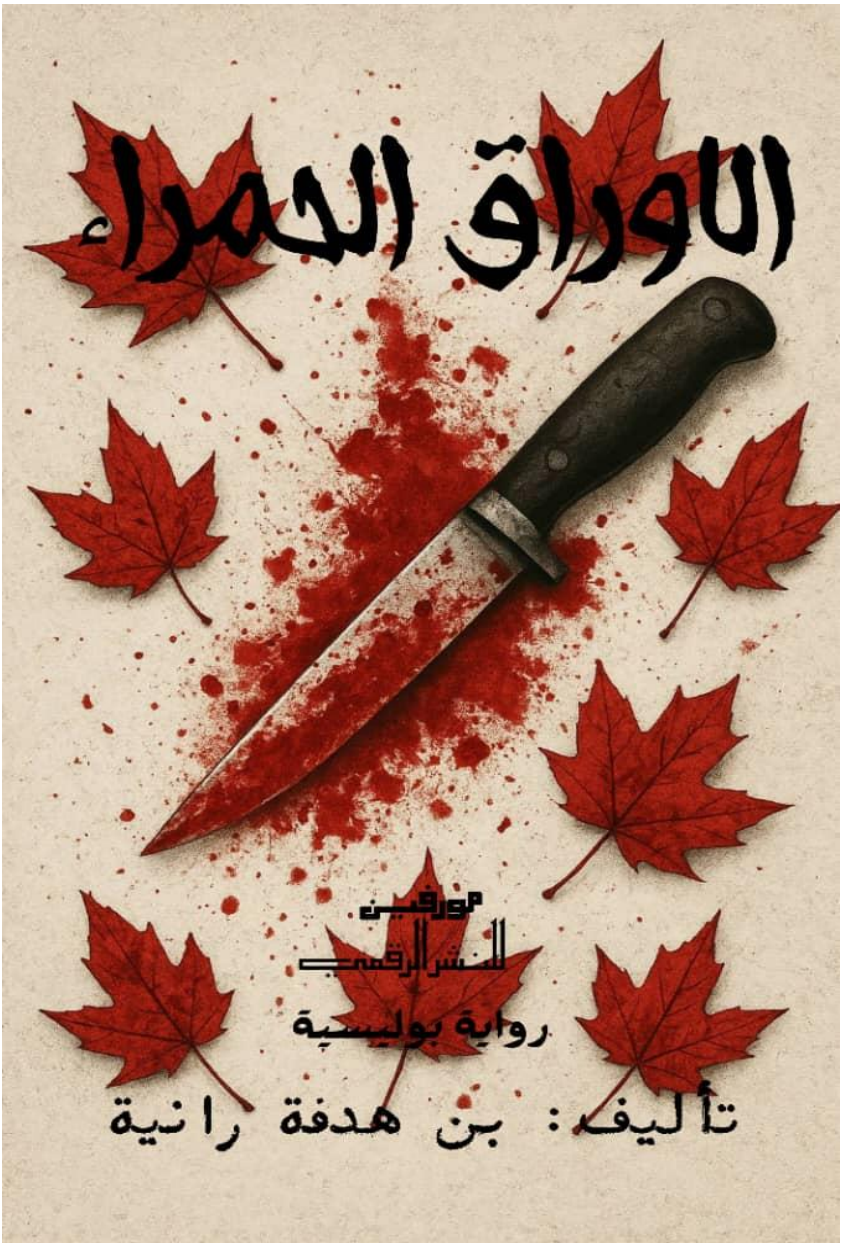
الاوراق الحمراء
نورفين
للنشر الرقمي
رواية بوليسية
تأليف: بن هدفة رانية

عنوان الكتاب :الأوراق الحمراء

رواية بوليسية نفسية

تأليف الكاتبة :بن هدفة رانية

<u>الإهداء</u> :

إلى الأحبة،

يا دفء الروح وسبب بقائي.

وإلى القارئ الذي قد يجد نفسه بين سطوري .

وإلى جدتي،

ذاكرة العائلة التي لا تموت، ونبع الحكايات الذي لا يجف.

بكل الحب، أحبك

تمهيد:

تدور أحداث الرواية في بلدة صغيرة، هادئة من الخارج، لكنها ترقد فوق أسرار لم تندثر قط.

جرائم بشعة هزّت شوارعها قبل عقود، قُيّدت ضد مجهول، وأرثت أهلها الخوف أكثر من أي ميراث آخر.

الآن، بعد مرور سنوات طويلة، تعود الملفات الى الواجهة. تُفتح الأدراج القديمة، وأستدعى الخبراء، ودقت أجراس المحاكم.

لكن السؤال يبقى:

هل ستتمكن العدالة من الإمساك بالقاتل بعد مرور كل هذه العقود؟

أم أن الحقيقة ستظلّ مجرّد شبحا، يرويه جيل بعد جيل ،حتى يتحوّل إلى أسطورة مقدسة ؟

1 - الفصل الأول: الورقة الأولى

صرخةٌ دوّت في الأزقّة الضيّقة، تبعتها خطوات مذعورة ورائحة دم طازجة تتسرّب في هواء الليل.

حين وصلت الشرطة، كانت الجثة ممدّدة على قارعة الطريق، وبجوارها... ورقة مطوية، خط عليها بخطّ غامض:

"العدّ بدأ من جديد."

الخبر انتشر كالنار في الهشيم ، البلدة التي ظنّت نفسها تخلّصت من ماضيها الأسود، وجدت نفسها فجأة أمام نسخة جديدة من كابوسها القديم: جرائم الأوراق الحمراء.

ماركوس، المحقق المتقاعد، جلس أمام التلفاز يحدّق في الخبر، كمن يسمع صدى صوته القديم وهو يستفز.

كلارا، الصحفية المبتدئة، أمسكت قلمها بحماس مرتجف: فهذه فرصتها لكتابة القصة التي ستُخرجها من الظل.

أما آدم، المحامي ذو الشهرة الواسعة، فاكتفى بابتسامة باردة وهو يطفئ سيجارته... وكأن الأمر لا يعنيه.

لكن عودة الأوراق لم تكن صدفة عابرة .

بعد ساعات، في الفندق الصغير وسط الساحة، فتحت إيميلي حقيبتها، أخرجت دفتر ملاحظاتها، ثم وقفت أمام النافذة حيث تجمّع الفضوليون.

همساتهم وصلت إليها:

"لقد عادت."

"هل ستنقذنا... أم ستهلكنا؟"

لم تجب.

كانت عيناها معلّقتين على الورقة المطوية المعروضة في نشرة الأخبار.

عرفت منذ اللحظة الأولى... أن هذا ليس مجرّد تحقيق.

إنه نداء شخصي، موجّه إليها بتحديد .

2- الفصل الثاني : مشهد الصدمة

لم يكن صباح البلدة عادياً.

الضباب كان حالكاً، والمطر يهطل بعنف. بردٌ قارس يجمد حتى الجماد، وكل شيء كان متناثراً، إذ تعصف الريح بما تجده في طريقها.

وفجأة... صرخة حادّة اخترقت السكون.

تبعها وقع خطوات مذعورة، إلى أن تجمّع الناس عند طرف الجسر.

هناك، عُثر على جثّة شاب في العقد الثالث، ممدّدة على الأرض الرطبة، وإلى جانبها وُرقة حمراء مطوية بعناية.

فتحت الشرطة الورقة بحذر شديد.

كانت الكلمات قصيرة... ومخيفة:

«ما يبدأ في الظلام... ينتهي في الظلام.

بدأ العد هنا: الرقم واحد.

انتظروا الرقم اثنين... في ساحة باريس.»

ارتبكت الوجوه، والهمسات تسللت كالنار في الهشيم:

"هل عاد القاتل بعد عشرين سنة؟"

"أم أن هناك من يقلّده؟"

قلبها يدقّ بعنف، كأن الجثة ليست سوى مقدمة لقصة تعرفها جيداً. لقد عادت اللعبة القديمة... وها هي أوراق الموت تُقلَب من جديد.

3- الفصل الثالث : تفتح الأوراق

وفجأة... دخل شرطي مسرعًا، أنفاسه متقطعة، وصوته مرتجف:

"سيدي... لقد وجدنا جثة أخرى."

ارتفعت الهمسات في المركز كعاصفة.

ماركوس شدّ على عصاه، نظر إلى إيميلي وقال ببرود:

"ها هو الرقم اثنان."

المكان: ساحة باريس.

وسط المطر والبرك المتجمّعة، وُجد جسد امرأة في الثلاثينات، ممددة قرب النافورة القديمة.

مرة أخرى... ورقة حمراء.

هذه المرة مكتوب فيها:

"الأرواح الملوّثة لا تُطهَّر إلا بالدم."

كلارا وصلت قبل الشرطة، الكاميرا ترتجف بين يديها.

أما آدم، فكان حاضرًا للمرة الثانية بلا سبب واضح... عيونه لم تتركا الورقة لحظة.

إيميلي قرأت الرسالة بصوت خافت:

"الأرواح الملوثة؟" ثم همست لنفسها:

" هل يختار ضحاياه بعناية؟"

رفع ماركوس رأسه نحو الحشد وقال:

"لا أحد هنا بريء... القاتل بيننا."

4-الفصل الرابع: الشك

لم تنم البلدة تلك الليلة.

الخبر انتشر أسرع من الريح: "القاتل عاد... ولم يرحم."

الأمهات حبسْنَ أطفالهنّ، الشوارع خلت إلا من المطر، والوجوه صارت كلها تتشابه... وجوه مذعورة.

في مركز الشرطة، وُضعت الصورتان جنبًا إلى جنب:

الشاب قرب الجسر... والمرأة في ساحة باريس.

بينهما ورقتان حمراوان، كأنهما توقيع شيطاني متكرر.

إيميلي كانت تحدّق فيهما بصمت، ثم قالت:

"القاتل لا يختار مكانًا عبثًا. الجسر، الساحة... كلها أماكن عامة، أماكن يعرف أن الناس سيرونه فيها حتى وهو غائب."

ماركوس، المحقق العجوز، ضرب الطاولة بيده:

"القاتل ليس سفاحًا يعبث بالجثث، بل مجرد بهلواني... شخصية سيكوباتية تحاول اللعب بنا. كل ورقة... حركة محسوبة، كل جثة... تهديد. نحن الآن على رقعة شطرنج، نتسابق مع ملكة لا ترحم."

ساد صمت ثقيل.

لكن العيون بدأت تلتفت، تبحث عن إجابة: أين الشهود؟

آدم:

المحامي كان حاضرًا في الجريمتين.

"صدفة؟" همس أحدهم.

ابتسم ببرود:

"أنا محامٍ... عملي يتطلب أن أكون قريبًا من القضايا."

لكن إيميلي لم تفوّت حركة يده: كان يخفي شيئًا في جيب معطفه.

كلارا:

الصحفية الشابة ظهرت دائمًا قبل الشرطة. صورها انتشرت على مواقع الأخبار أسرع من أي تقرير رسمي.

ماركوس تمتم:

"كيف تصل دائمًا قبلنا؟ من يُخبرها؟"

ارتبكت، ثم ابتسمت:

"هذا عملي... أن أسبقكم."

<u>إيميلي:</u>

حين التفتت لتخرج، لاحظ أحد المحققين أن يديها ترتجفان بشكل غريب... وكأنها تعرف ما هو مكتوب في الورقة قبل أن تُفتح.

في الخارج، المطر لم يتوقف.

الناس تجمّعوا حول مركز الشرطة، والهمسات تتصاعد كالدخان.

ثم فجأة... صرخة مدوية قطعت السكون.

التفت الجميع، ليروا على جدار مركز الشرطة كتابة كبيرة، مرسومة بدمٍ طازج:

"الرقم ثلاثة... سيكون قريبًا."

5-*الفصل الخامس*: الجريمة

لم تشرق شمس ذلك اليوم على البلدة.

السماء ملبّدة، والهواء يثقل الصدور. بدا وكأن البلدة تحبس أنفاسها في انتظار شيء أسوأ. الكل مرتعب الكل يتشارك الأخبار حتى أصبح حديثهم فقط عن جريمة الثالثة اصبحو متشوقين أكثر من الخوف وكأنهم يشاهدون مسرحية او فيلم وثائقي ينقسهم فقط الفوشار المملح أو قطعة شكولا..

في مركز الشرطة، كان الجميع منهكًا، لكن رنين الهاتف ولد تسارع عقارب الساعة :

"وجدنا جثة... في المحكمة القديمة!"

هرع ماركوس وإيميلي مع فريق التحقيق.

الباب الخشبي للمحكمة كان نصف مفتوح، والمطر تسلّل إلى الداخل تاركًا بقعًا سوداء على الأرضية الباردة.

وعند المنصة، حيث كان القضاة يجلسون ذات يوم... جلس نائب المحكمة، رأسه مائل إلى الخلف، عيناه نصف مفتوحتين، وقطرة دم جافة تسيل من زاوية فمه.

على صدره... ورقة حمراء.

اقترب ماركوس ببطء، يده ترتجف، ثم قرأ بصوت مسموع:

"القانون فشل... والعدّ مستمر. الرقم ثلاثة."

ساد صمت ثقيل.

إيميلي أحست أن قلبها يطرق جدران صدرها بعنف.

همست:

"إنه يوجّه رسالة مباشرة... هذه ليست جريمة عادية، هذا إعلان حرب."

كلارا وصلت متأخرة هذه المرة، الكاميرا بيدها. لم تلتقط صورة فورًا، بل ظلت تحدّق في الورقة وكأنها تقرأ ما بين السطور.

أما آدم، المحامي، فوقف بعيدًا عن المنصة، يبتسم ابتسامة باهتة لا تشبه أي ابتسامة عرفتها إيميلي.

الطبيب الشرعي قال ببرود:

"وقت الوفاة؟ قبل يومين على الأقل."

شهقة جماعية خرجت من الحاضرين.

إذًا، الجثة كانت مخبّأة... ثم وُضعت هنا بعناية، ليخلق القاتل مشهدًا مسرحيًا، كأنّه يكتب سيناريو داميًا للبلدة.

في تلك اللحظة، مرّت مهندسة نظافة في الممرّ الخلفي، تدفع عربة أدواتها.

وجهها كان شاحبًا، ويداها ترتجفان وهي تتمتم:

"الدم لا يزول بسهولة... أبدا لا يزول."

لم ينتبه لها أحد... أو ربما تجاهلوها.

لكن جملة بسيطة كهذه... ستظل عالقة في ذهن إيميلي دون أن تدري السبب.

في الخارج، تجمّع الناس، والهمسات تصاعدت كالعاصفة:

"من التالي؟"

"أربعة؟ خمسة؟"

ماركوس أطرق رأسه وقال:

"العدّ لم ينتهِ بعد... هو فقط بدأ."

وماذا عن هذا الرقم الذي خلف الورقة كل مرة أشاهده وأتجاهله N0143

هل هو رمز لملف او اسم شارع ام انه مرتبط بضحايا الثلاثة ؟!

6-الفصل السادس: رمز في الظلال

الليلة كانت كأنها جلدٌ رطب يُشدّ على صدور الناس.

في مركز الشرطة، النور باردٌ فوق الطاولة التي تجمع الصور والملاحظات، وأصابع ماركوس تلمس الورق وكأنها تحاول قراءة ما بين الحبر والمسافة. الكافّة الخشبية تئن وقتًا إلى آخر، كأنها نفسها تشتكي لآذان من لا يسمعون.

على الطاولة، بجوار صور الضحايا، ظهر الرمز باللون الأسود على هامش ملف أصفر مصفر N0143.

لم يكن معلقًا على الورقة الحمراء وحدها؛ بل طُبع أيضًا على هامش ملف أصفر مُصفرّ، ملف قديم فتحوه الليلة للمقارنة. رفع ماركوس عينيه ببطء؛ صورة صغيرة رُصِفت قرب الرقم: وجه فتاة شاحبة، لا تتجاوز السابعة عشرة. مكتوب بخط صغير بجانبها: "قضت نفسها — جناح 14 — ملف N0143."

شهقة خفيفة خرجت من حلق كلارا حين أمسكت الملف.

"لم أكن أعلم أن هناك ملفًا بهذا الرقم..." همست، والكاميرا معلّقة حول عنقها كدليل يطالب باهتمامه.

آدم رجع إلى الخلف بنبرة لا تخفي ارتباكه: "لماذا هذا الرقم؟ لماذا الآن؟"

إيميلي اقتربت، عيناها تتلوّحان بين الصفحات. وجهها لم يبدُ مرتعبًا — لكنه صار أكثر تركيزًا. "هذا رمز مستشفى؟ جناح؟ أو ربما رمز حالة..." قالت، ثم أضافت بصوتٍ هادئ: "ألم يَذكر لنا أحد هذا ذات مرة؟"

ماركوس فتح فمه ليجيب، لكن جوابًا مختلفًا خرج من صدره — جوابٌ بدا كأنه ليس منطقياً، بل ذا ذاكرة غارقة. تذكّر ضوءًا خافتًا، خطوة سريعة في ممر مستشفى، صوت باب يرشّ بالمطر. تذكّر وجه فتاةٍ شاحب يبكي في زاويةٍ ما، وتذكّر أيضًا اسمًا مكتوبًا على ورقة... ربما رقمه. استطيع أن يرى — بوضوحٍ خانق — رقمًا على زاوية ورقته القديمة، بحبرٍ باهت: N0143.

"لا..." همس ماركوس، ثم أمسك عينيه براحتي يده، كمن يريد أن يمنع قلبه من أن يقفز. "أنا أتخيّل... لا يمكن."

كلارا لم تصدق صمت ماركوس الطويل، فاقتربت قائلة: "ماذا تعني؟ هل تعرف هذا الرقم؟"

تلعثم لحظة، ثم بالهدوء نفسه الذي تخفيه سنوات العمل في نفس القضية، قال: "ربما... في تحقيقنا الأول، كان هذا رمزًا لملفٍ حفظته الشرطة القديمة... ملف عن حالة انتحار في جناح المستشفى، لم ننتهِ من قراءته."

آدم ألقى بنظرةٍ سريعة إلى الباب الخلفي حيث اختفت مهندسة النظافة قبل قليل. عيناه التقطتا طيفها وهي تعود بعربة تنظيف صغيرة، لا أحد يلتفت إليها فعلاً. لكن آدم اقترب من الطاولة، ولم يكن سلوكه بريئًا كالعادة؛ وضع يده فوق الدفتر القديم بطريقة لم تستحضر غير سؤال واحد في ذهن ماركوس: لماذا

تبدو يدا آدم رطبة قليلًا من الطين نفسه الذي وُجد على الشريط البلاستيكي في جيبي ماركوس؟

الهواء في الغرفة تضاعف ثقله.

إيميلي لمحت في أحد الملفات مذكّرة صغيرة بخط يدٍ متعرّج: "المريض السابق — N0143 — يعطينا مفاتيح."

جملتها تلك وقعت كقنبلة صغيرة. "يعطينا مفاتيح؟" كررت كلارا. "مفاتيح لمن؟ ولماذا طبعًا؟"

ماركوس وضع كفه على الورق وكأنه يحاول تثبيت الواقع.

ذكرياته تضاعفت؛ صور قديمة ترقص في رأسه بشكوك متصالبة: وجوه ظنّ أنه عرفها، أماكن مرّ بها، وقرارات اتخذها وهو شاب لا يتجاوز قدرة الشكّ. في رأسه الآن، السؤال الذي لم تغب صورته منذ عشرين سنة عاد ليقوده إلى حفرة أعمق: هل أخطأت حينها؟

ذهب إلى الخزانة البالية التي يحتويها مكتب التحقيقات، وفتح درجًا قديماً، سائلاً نفسه: ماذا لو كانت هناك أوراق مخفية؟ وماذا لو... بلا وعي، سحب مجلداً مخفياً تحت رزمة ملفات مهملة. أخرج المجلد، فتحه، وظهر أمامه جدول دوام قديم لموظفي المستشفى في السنة التي تلت الجرائم الأولى. ومن بين الأسماء التي زُرعت على الورق، لفت نظره اسمٌ واحد — اسمٌ صغير مُسطّر باليد: "سلمى — مهندسة نظافة — جناح 14."

خفّت أنفاسه. اسمٌ تافه كان يلتف الآن كحبل حول رقبته. "جناح 14... N0143..." تلعثم ماركوس بصوتٍ كأنه يصلّي.

كلارا، التي كانت تقرأ أمامها الملاحظات، رفعت الكاميرا فجأة وسألت باندفاع: "هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين الملفات القديمة والرمز؟ هل من الممكن أن... أن هناك أحداً ظلّ يتابع؟"

آدم صمت طويلاً، ثم بابتسامةٍ قاسية الملمس قال: "الرموز القديمة تعود أحيانًا لتذكّرنا بأن الماضي لا يموت."

ومع تزايد الإحساس بالخناق، شعر ماركوس بيدٍ صغيرة تقع على ذراعه. التفت؛ كانت إيميلي، عينها تقول له شيئًا واحدًا: "اقرأ هذا." مدت له صفحة صغيرة كانت مخبأة في شقٍ من المجلد. كانت مذكّرة بخطه ـــ كلماتٌ قصيرة: "لا تثق بأسمائك ـــ أعد قراءة الدفاتر."

نظر إلى يده فوجد أن أطراف أصابعه تحمل بقع حبر قديم... ثم تذكّر أنه في تلك الليلة قبل عشرين عاماً قد أمسك بقلمٍ وحبرٍ لوقتٍ طويل، ربما ليثبت شيئًا. هل كانت ذاكرته تلعب به؟ أم أن هناك من يهمس له الآن ليقوده إلى خطأ؟

في الخارج، أنين المطر تعاظم، وكأن البلدة كلها تهزّ رأسها في ألم.

كلارا التقطت الصورة الأولى للملف القديم، لكن قبل أن تضغط على زرّ الكاميرا، شعرت أن الصورة لا تلتقط سوى ظلّ واحد: ظلّ شخصٍ يهمس في الركن، ظله طويل ومسحوب.

في منتصف الغرفة، وقف ماركوس وحيدًا، تحدّق في الحروف N0143 كأنها مفتاحٌ يقفل على شيء أعمق. ثم همس — لا لأحد، بل لأنّه صار الحديث الوحيد الذي يعرفه: "إن لم نقرأ الرسائل جيدًا... فسوف تصبح هي التي تكتبنا."

وبينما همس، رنّ هاتف على الطاولة. على الشاشة، اسمٌ لا يتوقعه أحد: "مستشفى الينبوع — جناح 14."

ارتعش ماركوس حتى جوف يديه، وتردد سؤال أخطر من الشكّ نفسه: من كان يراقبهم طيلة هذه السنين؟

7- الفصل السابع: الرمز

جلست إيميلي في غرفتها بالفندق، الأوراق مبعثرة على الطاولة، وصوت المطر يطرق النافذة بإيقاع ثقيل.

على كل ورقة حمراء... على تقرير الطبيب الشرعي... تكرر الرمز ذاته:

N0143

كتبت في دفترها:

"رمز... لا اسم. هل هو ملف؟ أم رقم مريض؟ أم عنوان شارع ؟"

فتحت حاسوبها المحمول، اتصلت بقاعدة بيانات المصحة النفسية القديمة التي أُغلقت قبل عشر سنوات.

لكن النظام رفض الدخول إلا بكلمة مرور.

شعرت بالضيق، أغلقت الجهاز، ثم همست:

"لا بد أن هناك من يعرف... شخص كان يعمل هناك."

في الوقت ذاته، كان ماركوس يجلس في سيارته المعتمة أمام الفندق.

أشعل سيجارة بيد مرتجفة، وفي عينيه انعكست نار صغيرة.

بدأ يحدث نفسه:

"كل مرة يعود القاتل... أكون هناك. كل مرة تظهر الورقة... أكون قريبًا. هل يعقل أن أكون...؟"

ضغط على رأسه بكلتا يديه، كأنه يحاول طرد الفكرة.

لكنها بقيت.

وفي زاوية بعيدة من البلدة...

كانت مهندسة النظافة تغسل بلاط المحكمة القديمة.

تتوقف للحظة، تنظر للدماء اليابسة، وتهمس لنفسها:

"الرمز ليس رقمًا... بل اسم من سرق ابنتي."

8- *الفصل الثامن:* المصحة

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل، حين عثرت إيميلي على ما يشبه الصدفة... أو لعله قدرٌ مكتوب.

داخل أرشيف المحكمة، بين ملفات مغبرة وممزقة، وجدت ورقة صفراء، مختومة بختم قديم:

مصحة "سانت ماري" – قسم الاضطرابات الوجدانية

المريض: N0143

تجمدت أنفاسها.

الرمز لم يكن مجرد رقم عشوائي... بل كان هوية مريض.

في الصباح التالي، قادت سيارتها نحو أطراف البلدة.

المكان هناك بدا كأطلال مدينة أشباح: مبانٍ مهجورة، نوافذ محطمة، وأشجار كثيفة تحاصر الطريق.

المصحة تقف شامخة رغم الخراب، جدرانها متشققة، كأنها ما زالت تخبئ أنين المرضى خلفها.

دخلت بحذر.

الأرضية تصدر صريرًا تحت قدميها، والغبار يملأ الجو.

على الجدار، كتابات غامضة بخطوط مختلفة:

"الدم دواء."

"لن يصدقني أحد."

."N0143"

في أحد الممرات، وجدت غرفة سجّلت على بابها كلمة "التجارب".

دفعت الباب... فانفتح بصرير ثقيل.

الداخل كان مليئًا بملفات متناثرة، سرنجات صدئة، وأسرّة حديدية مقيّدة.

رفعت أحد الملفات، فقرأته بسرعة:

"المريض N0143 – ذكر – 35 عامًا – اضطراب وجداني ثنائي القطب.

العلاج: صدمات كهربائية + جرعات عالية من المورفين.

الملاحظة الأخيرة: توفي نتيجة جرعة زائدة."

شهقت إيميلي.

القاتل الأصلي... كان هنا. لكن إن كان قد مات منذ سنوات، فمن يقلده اليوم؟

خطوات خفيفة ترددت خلفها.

استدارت فجأة، لتجد مهندسة النظافة واقفة عند الباب، عيناها تلمعان ببرق غامض، وصوتها منخفض:

"المريض مات... لكن الألم لم يمت. الورثة الحقيقيون هم من يعيشون العذاب."

قبل أن تسألها، استدارت المرأة واختفت بين الممرات المظلمة، تاركة خلفها صدى كلماتها كخنجر في صدر إيميلي

9-*الفصل التاسع*: الحريق

البلدة لم تكن قد استعادت أنفاسها من صدمة الجريمة الرابعة، حتى اهتزّت ليلة جديدة بأصوات لم يتوقّعها أحد.

صفّارات الإنذار شقّت السكون، والدخان الأسود تصاعد من مبنى المصحّة القديمة عند طرف البلدة.

هرع الناس مذعورين، بعضهم يظن أنّ القاتل عاد بجريمة جديدة، وآخرون يتهامسون أن النار هذه المرة "انتقام من الماضي ذاته".

في الداخل، كان المشهد فوضويًا: أجنحة غارقة في الدخان، صيحات المرضى، وصوت انفجار زجاج النوافذ.

رجال الإطفاء تدافعوا بالمياه والخراطيم، بينما الشرطة تحاول السيطرة على الفوضى.

في نهاية الممرّ، شوهدت كلارا: كانت تقف والكاميرا بيدها، لكنها لم تكن تصور! بل كانت ترمي الأوراق الصفراء في النار المتصاعدة.

صرخت إيميلي: "لماذا؟" لكن كلارا لم تجب. فقط أشارت بإصبعها إلى الخلف.

آدم المحامي كان يهرب من الناحية الأخرى، يحمل حقيبة جلدية سوداء، وبدت عليه آثار التعب والرعب. صراخه كان مكتوماً، لكن إيميلي سمعت منه جملة واحدة:

"الرمز... هو الاسم الحقيقي."

لكن الصدمة الكبرى لم تكن الحريق نفسه، بل ما وُجد في أحد الممرات الجانبية:

مهندسة النظافة "سلمى " ممدّدة على الأرض، وجهها مغطّى بالسواد، ملابسها نصف محترقة، وأصوات شهود يصرخون:

"إنها ضحية جديدة!"

غير بعيد عنها... فتاة شابة، المتربصة التي كانت تقضي أيامها الأخيرة في التدريب الأكاديمي داخل المصحّة، أُخرجت فاقدة الوعي من الدخان. كانت تتنفس بصعوبة، ثم غابت عن الوعي، لتدخل في غيبوبة مؤقتة.

المشهد أربك الجميع:

هل القاتل أشعل النار ليترك بصمة جديدة؟

أم أنّه كان يحاول محو أدلة داخل المصحّة؟

ماركوس، وهو يتابع بعينيه المحمرتين من الدخان، قال ببطء:

"هذه ليست جريمة قتل مكتملة... إنها رسالة."

في حين همست إيميلي وهي تنظر إلى سلمى المصابة بحروق من درجة الثانية :

"أحيانًا، القاتل لا يكتفي بالدم... بل يريد مسرحًا كاملًا."

لكن ما أثار قشعريرة في قلبها، مشهد كلارا جمل متقطّعة من شفتي الفتاة المتربصة قبل أن تغيب في الغيبوبة:

" الكل جاني "

سقطت الكلمات في قلب إيميلي كحجر في ماء راكد.

لم يفهمها الأطباء، لم يلتقطها أحد غيرها... لكن صداها ظلّ يرنّ في أذنها طوال الليل.

خارج المصحّة، كان الحشد يزداد، والهمسات تتصاعد:

"العدّ لم يتوقف."

"إنه يحرق كل ما يترك أثرًا."

أما ماركوس، فظل واقفًا أمام النيران، يتمتم كمن يشك في كل شيء:

"حتى نحن... ربما لسنا سوى بيادق في لعبته.

***10-الفصل العاشر*: الملف N0143**

كان الليل ساكنًا، لكن عقولهم لم تهدأ.

في غرفة التحقيق، جلس ماركوس وإيميلي أمام الطاولة المليئة بالأوراق، صور الضحايا مبعثرة، والورقة الحمراء الأخيرة ما تزال تفوح منها رائحة دخان الحريق.

إيميلي أعادت ترتيب الأوراق المحترقة ما شد إنتباهها

" الغرفة أربعة عشر التي إحترقت والملفات التي حملها أدم في حقيبته "

ماركوس أشعل سيجارته بيد مرتجفة وقال:

"الغرفة أربعة عشر... كانت جناحًا مغلقًا في المصحّة القديمة. أُقفل منذ أكثر من عشر سنوات بعد حادثة غامضة."

إيميلي، وهي تقلب الملفات الذي مع آدم ، عثرت أخيرًا على غلاف رمادي مغبّر، مكتوب عليه بخطّ باهت: N0143.

فتحته بحذر، فتناثرت أوراق صفراء قديمة، معظمها تقارير طبية ونفسية.

بين السطور... تكرر اسم واحد: ميس الجراح .

ماركوس قرأ بصوت خافت:

"مريضة شابة، عمرها سبعة عشر عامًا... مشخصة بصرع شديد واضطراب وجداني ثنائي القطب. توفيت منذ خمسة عشر عامًا... انتحارًا."

صمت لثواني، ثم رفع رأسه:

"لكن... أين التقرير الجنائي؟"

إيميلي قلّبت الأوراق، حتى وجدت ورقة ناقصة الأطراف، ملطخة بدم قديم أو ربما صدأ، مكتوب فيها:

"تم العثور على المريضة في ظروف غير واضحة. علامات الخنق موجودة، لكن أُدرجت القضية انتحارًا بناءً على تقرير الطبيب الشرعي."

شهقة هزّت إيميلي:

"خنق؟ إذن لم يكن انتحارًا... كان قتلًا!"

ماركوس ألقى بالملف على الطاولة بغضب:

"إذن كل شيء يعود إلى هنا... هذا الملف هو جذر اللعنة."

لكن قبل أن يتناقشا أكثر، سُمعت طرقات سريعة على الباب.

دخل شرطي مرتبك، وقال:

"سيدي... مهندسة النظافة، سلمى ... اختفت من المستشفى بعد أن قيل إنها ضحية الحريق. لم نجدها في أي مكان."

إيميلي تبادلت نظرة سريعة مع ماركوس.

القشعريرة غزت جسدها:

"ماذا لو لم تكن ضحية... بل كانت الممثلة في مسرحية أكبر؟"

وفي تلك اللحظة، رنّ هاتف المركز.

على الطرف الآخر... صوت نسائي بارد، هامس:

"لقد نسيتم أن العدّ لم ينتهِ بعد... الرقم أربعة ينتظركم....؟؟

***11-الفصل الحادي عشر*: حبال المسؤولية**

الوادِية التي تقطّعت فيها الخيوط القديمة بدأت تُعرَض فوق الطاولة كما لو أنها خريطة جريمة أخيرة ـــ لكنّها في الواقع خريطة جريمة امتدّت لعقود، كلّ بطانة منها ملوّثة بشيء من دم ولوم وصمت.

جلسوا جميعًا حول الطاولة: ماركوس بعينين محمّرتين، إيميلي بصمتها الحادّ، كلارا بقلمها الجاهز، وآدم يحاول أن يصطنع برودةً لا تليق به هذه الليلة. أمامهم ملفّات: ملف الرقم N0143، أوراق التحقيق الأول، تقارير الطبيب الشرعي القديمة، وصور قديمة مُسوّدة.

قرأ ماركوس الجملة الأولى بصوتٍ خافت:

"الفتاة ميس ـــ تم العثور عليها ميتة في جناح 14 ـــ وُأعلن عبر المواقع التواصل الاجتماعي وحتى التقرير الجنائي أنه "حادث انتحار ."

لكنّ السطور التالية كانت تقرع كجرس: ملاحظة بخطّ صغير على هامش تقرير الطبيب: "أثار اختناق طفيفة ـــ لا مؤشرات مقاومة واضحة ـــ يُحتمل وجود تدخل دوائي." ثم رسالة أخرى من عامٍ سابق: "المريض (مشتبه به سابقًا) شوهد يبتسم بعد الحادث."

كلارا رفعت وجهاها، وعيناها تلمعان. "الولد الذي وُجد بجانب الجسر ـــ ذاك الذي لطّش به الناس بالاستهزاء ـــ كان من أعنف المتنمرين تجاه ميس. سمعنا عن مشاجرات، عن رسائل مُشينة. هناك صور في الأرشيف." قلبت صورة، فنظرات

الشاب كانت قاسية كحجر. "ومن الملف القديم: في ليلة حادثة ميس، صديقتها المقربة ـــ الطالبة المتربصة ـــ كانت تُعطيها دواءً لتخفيف نوبة... تقول الملاحظات الآن أنه قد يكون حدث خطأ في الجرعة."

هنا احتدت الأصوات. آدم حاول أن يقاطع، لكن لسانه جفّ. "أنتِ تقولين إنّها جرعة زائدة؟" سأل بصوتٍ لا يختبئ فيه الدهشة.

إيميلي همست: "ليس فقط ذلك. الوثائق تُظهر أن النوبة تزامنت مع زيارة من شخصٍ ما ـــ زائرٌ لم يُسجَّل في الدفاتر. ثمّ في الصباح التالي، تسرّبت معلومات من داخل المصحة إلى مكتب القاضي."

ماركوس نهض فجأة، كمن استخرج رمحًا من صدور ذاكرته. "القاضي... لقد أعاد فتح القضية بسرعة ثم غلقها. لماذا؟" تردّد السؤال في الغرفة كصوت مطرٍ ثاقب.

أخرج ملف القاضي بعد تردد. كانت هناك ورقة صغيرة بخطّ إدارته: "السفر ـــ عطلة عائلية ـــ يُنهي الإجراءات اليوم."

ابتسم آدم ابتسامةً لا تخلو من مرارة. "القاضي كان يطمع في عطلة خارج البلدة. إغلاق الملف سيسهل له المغادرة. لم يجرِ التحقيق بالعمق لأن الأمور أصبحت ـــ" تلعثم، ثم أضاف بفتور: "ـــ لأن أي تأخير قد يعرقله."

رتّب ماركوس أصابعه على الطاولة، كأنّه يُحكّم عقابًا داخليًا. "والطبيب الشرعي؟" سأل بصوتٍ خشِن.

"التقرير الأصلي كان خاطئًا" قالت كلارا بصوتٍ أعلى من المعتاد، وقد بدأ الغضب يلوذ بحنجرتها. "تعليمات على مستندات قديمة تُشير إلى تلاعبٍ ما بصيغة التقرير. وقد وجدنا توقيعًا صغيرًا — ليس توقيع الطبيب فحسب، بل ملاحظة مكتوبة: 'انظروا للدواء'. لقد غُفِل أمر الجرعة."

ساد صمتٌ مُزمِر، ثم خرج صوت من خلف الباب — صوت شبيهٍ بصوت امرأةٍ خائفٍ — فُتح الباب، ودخل مساعد صغير هزيل، بوضوح مُضطرب. "هناك شيءٌ آخر..." تمتم بسرعة، ومدّ ورقةً جديدة على الطاولة. "وجدناها مخفية في درج ملف القاضي: رسالة صغيرة متهرّئة بخطٍّ متسرّع: 'إذا خرجت، سترحلون بعيدًا. لا تنسوا جناح 14'."

ابتلعت إيميلي نفسها ثم قالت: "كل شيء هنا يبدأ عند جناح 14. ميس كانت هناك. مَن دخل، مَن خرج، مَن اختار أن يغمض عينيه؟" نظرت إلى الجميع، واحدًا واحدًا، كأنها تعدّهم. "المذنبون ليسوا فقط من امتدّت أيديهم إلى عنفٍ مباشر. المذنبون هم من تجاهلوا الشكوى، من طمسوا الدليل، من فضّلوا عطلتهم على حياة فتاة."

في تلك اللحظة، تذكّر ماركوس شيئًا — مشهدًا طُبع في أعماقه بألوانٍ قاتمة: رجلٌ في المصحّة الأصلية، كان يشاهد بأناةٍ وهو يُسجّل في دفتره — القاتل القديم، ذاك الذي اعتاد على منظر الدم كلوحٍ فني. في الملف القديم وُجدت ملاحظة صغيرة عن هذا الرجل: "كان يستمتع بالمشهد..." ثم استدركت المذكرة: "ثم غاب عن الوعي... واختفى." لاحقًا سجّلوا له وفاةً بسبب جرعة مورفين فائقة — توفي متأثرًا بمحاولةٍ للألم والتبرير. لم يمُت من فرحٍ، بل من انكسارٍ — إنه الذي لم يستطع أن يبرّر ردّه على وقوع ميس، ثم مات

مختنقًا يحتسب معنىً: لماذا القتل يصبح افتتانًا لدى البعض؟ ولماذا يصبح الحزن موتًا لدى آخرين؟

كلارا همست: "يعني... القاتل القادم؟ لم يكن مجرد مقلّد. ربما كانت هناك أعين تراقب، تتعلم، تتفحّص الأخطاء. ربما استغلّت سِجلاته، هيأت المسرح، وقرّرت أن تُعيد كتابة النهاية."

ماركوس أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال بصوتٍ مسموع: "الجميع مذنبون، لكن هذا لا يبرّر قتلنا لِمن نحب. المذنبون هم سببٌ، لكن القاتل هو من يختار أن يعيد الحساب بيده."

نظر إلى الورق في يديه، فعثَر على شيءٍ لم يلاحظَه أحد: نقشٌ صغير على زاوية صورة ميس — حفنة شعيرات مُلتصقة، بلونٍ شبه مميز، تشبه الألياف التي استُخدمت في قطعة من القماش وُجدت على عربة النظافة ليلة الحريق.

تجمدت الغرفة. " سلمى ..." همس أحدهم بصوتٍ خافت كأول هطل برد. "اسمها موجود في جداول العمل القديمة، لكنها... كانت تُسجّل دوماً كحضورٍ في قاعات لا أحد يلتفت لها. كيف لم يلاحظ أحد؟"

أغمض ماركوس عينيه للحظة، ثم انبثق من صدره سؤالٌ كأنه يُوجّه لنفسه: "هل نحن الذين أوجدنا هذه العاملة؟ أم أنّها كانت هناك طوال الوقت، تنتظر أن تُقرأ دفاترنا لعلّها تعثر على سببٍ يكفيها؟"

تراجعت إيميلي خطوة إلى الوراء، وفجأة دخل صوتٌ على الهاتف — نفس الصوت الهادئ البارد الذي اعتادوا عليه في مكالماته الغامضة. "أخطاء الماضي لا تموت. هم من يكتفون بالنسيان. أما أنا..." توقف الصوت لثانية، ثم قال ببرود: "أنا أذكر." ثم أُغلق الخط.

انحنى الجميع إلى الورق، إلى الصور، إلى ملفات الميّتة، وبدا أمامهم العالم بلونٍ آخر: ليس فقط قاتلٌ يُعيد كتابة العناوين، بل مجتمعٌ كاملٌ أهدَرَ أسماءً وغرّر بصمتٍ — القاضي الذي هرب إلى عطلاته، الطبيب الذي أخطأ في التشخيص، الصديقة التي أعطت جرعة زائدة عن دون قصد، والشابُ المُتنمّر الذي كان سببًا في انطفاء ضوءٍ شابٍ. وفي قلب هذا النسيج، كانت هناك امرأةٌ — مهندسة النظافة — تملك من الحزن ما يكفي لصنع مسرحٍ كبيرٍ، وحبًّا يكفي لصنع انتقامٍ مُوجع.

ختم ماركوس الجلسة قائلاً، بنبرةٍ ناعسةٍ لكنها قاطعة: "سنعيد قراءة الدفاتر. سنُعيد ترتيب الأسماء. لكننا لا نعرف بعد إن كنا نلحق بمن ينتظر العدّ، أم بمن يُحرّك الخيوط خلف الستار."

خارج النافذة، المطر عاد ليخيط الشوارع بخيوط لامعة، وكأن البلدة تجهّز لحفلٍ طويلٍ من الاعترافات

12-الفصل الثاني عشر : كشف الأوراق

كانت قاعة المحكمة شبه خالية، ضوء المساء يتسلّل من النوافذ العالية كخيوطٍ متعبة.

على الطاولة الخشبية، تناثرت الأوراق الحمراء — لا تحمل أسماء، فقط أرقامًا وخطوطًا دقيقة، كأنها رموز لأرواح لم تهدأ بعد.

إيميلي جلست بصمت، تتأمل الورقة الأخيرة، الرقم "5".

لكن ما شدّ انتباهها لم يكن الرقم... بل توقيع صغير في الزاوية السفلية: س . ج .

تمتمت في نفسها:

" سلمى الجراح ؟"

ثم انتفضت: "لا يمكن... هذا الاسم لم يظهر في أي سجل رسمي!"

ماركوس دخل بخطوات سريعة، يحمل ظرفًا بنّيًا وجدوه في أرشيف المحكمة القديم.

فتحه أمامها، وفي داخله ملف طبي يعود إلى أكثر من خمسة عشر عامًا، يحمل نفس التوقيع: س . ج .

قال ماركوس وهو يتصفح الأوراق:

"يبدو أن سلمى لم تكن مجرد مهندسة نظافة... كانت في الأصل ممرضة في المصحّة، وطُردت بعد حادثة ميس."

صمتٌ ثقيل خيّم على الغرفة.

إيميلي قلّبت الورقة الحمراء الأخيرة، فظهرت كلمات بالكاد تُقرأ، كُتبت بقلم حبر مائل:

> كل ورقة كانت رسالة من أمٍّ إلى العدالة التي لم تجب.

خمس أوراق... خمس أرواح شاركت في قتلها بصمت.

القاضي، الطبيب، الممرضة، الصحفية، والمذنب الذي سمّوه مجنونًا.

رفعت إيميلي نظرها، والدهشة تملأ وجهها:

"إذن كل ورقة كانت تعاقب أحدهم بطريقته... سلمى لم تقتل أحدًا بيدها، بل جعلتهم يواجهون ذواتهم حتى انهاروا."

ماركوس أضاف وهو ينظر إلى الأوراق:

"لقد حوّلت الذنب إلى عدوى... جعلت الخوف يكتب النهاية."

وفي أسفل الورقة الخامسة، بخطٍ صغير:

> الورقة السادسة... لن يكتبها أحد.

هي ملك للذي سيفهم الحكاية حقًّا.

إيميلي أغلقت الملف، ونظرت إلى ماركوس بنظرة حائرة.

"هل تعتقد... أنها تقصدنا؟"

لكن قبل أن يجيب، هبّت نسمة باردة من النافذة، فتناثرت الأوراق الحمراء في الهواء كفراشات محترقة، ووقعت واحدة منها على الأرض أمام الباب.

اقتربت إيميلي لترفعها...

كانت تحمل كلمة واحدة فقط، بخطّ حديث:

> "نعم."

نظرت حولها بسرعة — لا أحد.

فقط صدى الريح، وعبق رمادٍ قديم.

ثم التفتت إلى ماركوس وهمست:

"اللعنة لم تكن في الأوراق... كانت في من كتبها، وفي من قرأها."

خرجت من القاعة بخطواتٍ بطيئة، بينما بقيت الورقة الأخيرة على الطاولة، تنزف لونها الأحمر على الخشب كجرحٍ مفتوح...

وفي أسفلها، بدأت تظهر كلمات جديدة، كأنها تُكتب وحدها:

> الحكاية لم تنتهِ بعد.

الورقة السادسة في الطريق

همس سلمى – الصفحة الأخيرة

- ✓ **كنتُ أنتظر أن يفهم أحد... لا أن يُدين أحدًا.**

كل ورقةٍ حمراء كانت صرخةً من قلبٍ لم يسمعه أحد حين كان حيًّا.

لم أكتبها لأنتقم، بل لأُذكّرهم أن العدالة ليست في المحكمة... بل في الذاكرة.

- ✓ **حين سقطت ابنتي، لم يمت جسدها فقط، بل سقطت معها إنسانيّة مدينةٍ بأكملها.**

فأعدتُ رسم وجوههم بالحبر الأحمر، كي يروا ما تجاهلوه يومًا.

- **بعد أسابيع، حين هدأت البلدة قليلًا، وُجد كتابٌ مجهولٌ على رفّ المكتبة العامة.**

كان غلافه باهتًا، يحمل عنوانًا وحيدًا وعليه رمز N0143:

«الأوراق الحمراء»

المؤلفة: سلمى .

هل كانت سلمى القاتلة؟

أم مجرّد شاهدةٍ كتبت ما عاشته؟

أم أن البلدة كلّها... اختارت أن تُصدّق كذبةً جميلة كي تنام ليلًا؟

لم يُعرف الجواب أبدًا.

ففي النهاية —

الكلُّ جاني، والكاتبُ يلعب دورَ الجلاد.

(ورقة أخيرة – بعد كلمة "النهاية")

- ***ضميرٌ متقلّب الهرمون،***

يستيقظ حين ينام الجميع، ويعاتبني على غيابٍ لم أختره.

لا أحد يلتفت لأثر الغياب حين يُصبح عادة،

ولا أحد يسمع صراخ الروح وهي تئنّ تحت وطأة الصمت.

حين التفتُّ خلفي رأيت وجوهًا أعرفها، ليست غريبة،

جميعهم كانوا أقربَ لوردي... وخذلوني في لحظة ضعفي.

ومع ذلك، تفنّنا في التحمّل حتى صار الألم هواية،

وذقنا المذاق الأسود كقهوةٍ تُقدَّم في عزاءٍ مؤجّل.

ارتدينا ثوب الحداد على أحلامٍ لم تُدفن بعد،

وعشنا نرثي أنفسنا كل يوم بصمتٍ أنيق،

كأننا نتمرّن على الموت قبل موعده.

(ورقة عنوانها الحداد ... كأنها اقتباس من كتاب ظل في مصحة .)

فهرس الرواية – الأوراق الحمراء

تمهيد :

الفصل الأول: بداية العدّ

الفصل الثاني:مشهد الصدمة

الفصل الثالث: تفتّح الأوراق

الفصل الرابع: الشّك

الفصل الخامس: الجريمة

الفصل السادس: رمز في الظلال

الفصل السابع: الرمز

الفصل الثامن: المصحة

الفصل التاسع: الحريق

الفصل العاشر: الملف N0143

الفصل الحادى عشر: حبال المسؤولية

الفصل الثانى عشر: كشف الأوراق

الصفحة الأخيرة : النهاية _همس سلمى

نبذة عن الكاتبة :

✦ ***بن هدفة رانية***

كاتبة جزائرية من ولاية سطيف،

متحصّلة على شهادة الماستر 2 في علم النفس العمل وتنظيم وتسيير الموارد البشرية.

الأوراق الحمراء... ليست جريمة، بل اعتراف متأخر.

➢ ***"ربما العدالة لا تُكتَب في المحاكم، بل في القصص التي نجرؤ على روايتها."***

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة بن هدفة رانية – 2025

نبذة عن الكاتبة :
✦ بن هدفة رانية
كاتبة جزائرية من ولاية سطيف،
متحصّلة على شهادة الماستر2
في علم النفس العمل وتنظيم
وتسيير الموارد البشرية.

ربما العدالة لا تُكتَب في
المحاكم، بل في القصص التي
نجرؤ على روايتها."

جميع الحقوق محفوظة
للكاتبة بن هدفة رانية -
2025

الأوراق الحمراء
في بلدة يغلبها الصمت،
تعود الأوراقِ الحمراء
لتفتح جراحًا قديمة،
وتُوقظ الأصوات التي كان
يُفترض أن تبقى مدفونة.
،،أحيانًا يصبح العقلُ
مصحّةً مهجورة،
ويتحوّل القلبُ إلى مسرح
جريمة،،
،،الجاني لا يحتاج إلى
مشرحة ليرى الحقيقة،
بل إلىً أدلةٍ تثبت أنك
بريء،،،
[وحين تتحوّل المحاكم
إلى لعنة...
تبدأ الحكاية..........!!]
🩸 رواية نفسية بوليسية
تكشف الوجه الخفيّ
للعدالة،
وتساءل الخطّ الرفيع بين
الجريمة... والجنون.